

(الصبار الحلو)

مجموعة قصص

للأطفال

هاني السالمي

قطتي وصغارها

منذ فترة جاءت على بيتنا قطة دخلت من نافذة المطبخ، كلنا رحبنا بها لم نخاف منها كانت لطيفة وجميلة وفروها ناعم بني مخلوط باللون البني.

رغم أن أختي الصغيرة في بداية الأمر كانت تخاف منها إلا أنها تجعلك تحبها بسرعة وتتلهف لتلعب معها.

أختار القطة غرفتي لتنام فيها بل كانت تنام بالقرب مني على السرير، لا تتحرك كثير هادئة، يوم عن يوم ازداد حبي لها، وصرت أركض بسرعة بعد دوام المدرسي حتى أَلعب معها ونأكل معا، وكانت تستقبلنا عند باب البيت.

مرت أشهر على وجودها عندنا وفي يوم غابت القطة طوال اليوم وبحث عنها في كل مكان، وقبل المغرب عادت وكان علامات الإرهاق عليها يبدو أنها كانت تركض أو خائف من شيء، نامت وقتها بسرع حتى الصباح...

وبعد مدة شعرت أن بطنها يكبر، فرحنا لأنها تحمل قطط صغار مثلها، وبالفعل بعد مرور عدة أسابيع اختفي القطة كثيرا... وجاءت تحمل بين أسنانها قطة صغير جدا حمراء ووضعته تحت السرير وغادرت ثم عادت بواحد آخر وكررت هذا العمل 5 مرات حتى صار تحت السرير 7 قطط صغيرة.

أبي كان لطيف جدا، جلب علبة كبيرة ووضع بها قطعة قماش ووضع الصغار فيها ووضع القطة الكبيرة في الصندوق. وأنا ذهبت وصنعت صحن من الحلب ووضعته لها فصار تشرب بها والصغار تلتف حولها ترضع.

كبرت الصغار وصاروا يلعبون بالبيت وصار جزء مهم عندنا، لكن الأشياء
لا تبقى على ما نريد.

فأحد الصغار مات كان مريض، الولد ابن الجيران سرق واحد وركض بعيد،
وأولاد خالي أخذوا إثنين، وعمتي نرجس أخذت الأبيض، والباقي خرج من
نافذة المطبخ ولم يعودا..

خزنت كثير على رحيل القطط الصغيرة، وكانت القطعة الكبيرة تجلس معي
على السرير.

جاء أبي وقال: لا تحزني هكذا الحياة لابد أن تفرق بيننا، لأن الصغير يكبر
ولا بد أن يغادر بيته.

جلسنا عند الحلاق

بعد الحرب الأخيرة على قطاع غزة التي استمرت أكثر من أسبوعين من الخوف والقلق حيث أنها بدأت في نهاية شهر رمضان وضاعت علينا فرح العيد الفطر، وكنا مجلس في البيوت بكل خوف وقلق، لأن القصف في كل مكان.. وبعد الإعلان عن وقف الحرب، خرجنا من بيوتنا لنتحسس ونطمئن على الجيران، أبي أشار لنا لا بد أن نحتفل بالعيد رغم أنه ذهب.

فحن اشترى ملابس العيد قبل الحرب، فركضا عند الحلاق لنقص شعرنا وذهبت أمي لتشتري الحلوى والكعك.

ذهب عند الحلاق فكان مزدحم كل الأولاد يريدون الاحتفال، لكن جلسنا لنتنظر دورنا في الحلاقة.

كل واحد من الموجودين في مكان صار يحكي قصة مع الحرب وعن القصف وعن البيوت التي دمرت وعن الناس التي هجرت من بيوتها.

قصص حين تسمعها تحزن كثيرا وخاص على الجرحى والشهداء، لكن الحلاق كان لطيف مع الجميع وأخبرنا شو رأيكم نسمع موسيقى وننسى لحظة القصف حتى نحتفل بالعيد لأن قصتنا من الأعداد طويلة.

بالفعل رفع صوت الموسيقى والغناء وصنار نغني بصوت عالي والجميع ابتسم وكانا سعداء.

بعد الحلاق ذهبت للبيت ولبست ملابس العيد، وركبت مع أبي السيارة وذهبنا لزيارة الأقارب والأصدقاء، لكن مناظر الشوارع كانت قصص رعب وخوف من الدمار والقصف الذي حل بنا.

بيت جدتي

في صباح مشمس وجميل تذكرنا جدتي لأنها تحت أن تجلس في صباح الشمس عند عتبة البيت، فقررنا أن نزورها.

ركضنا ناحية البيت فجدتي لا تبعد كثير عنا بالسكن، وحين وصلنا لم نجد جدي أمام البيت، ووجدنا باب البيت مفتوح. فدخلنا بعد قلق على جدتي.

فوجدناها تجلس على سريرها، وأخبرتتنا بأنها مريض وقدمائها بها ألم ولم تقدر الخروج عند عتبة البيت لتجلس تحت الشمس.

فقررنا أن نساعد جدتي على الخروج، كانت جدتي ثقيلة جدا، فجاءت فكرة أن نجلسها على الكرسي المتحرك

وبعد تعب شديد أنا وأخي نجحنا بمساعدتها بالجلوس على الكرسي وحركناها ناحية الباب. وجلست جدتي وكانت مشتاقة لهذه الجلسة الرائعة، فطلبت مني أن أحضر أكياسها من تحت السرير فجدتي يوجد تحت سريرها العشرات من الأكياس.

وبعد أن جلبت الأكياس المطلوبة، فتحت جدتي الكيس الأول وكان مليان بثمار التين الخضراء وصرنا نأكل وكلنا سعادة.

قالت جدتي كان في بيتنا القديم قبل الهجرة شجرة تين كبيرة زرعها جدك وكانت نوع ممتاز ينتج ثمار كبيرة وطعمها لذيذ، وكنت أصنع منها القطين وكنا نجلس أنا وجدك كثير تحتها.

نزلت دمعة على خد جدتي، فقمتم ومسحتها وقبلت رأسها، وقلت لها لابد من يوم نعود إلى شجرة التين ونجلس في صباح مشمس.

حلمي

كل واحد داخله حلم يركض خلفه وكان حلمي أن أصبح لاعب كرة قدم يرفح بي أبي وأمي، أبي كان عنده نفس الحلم لكن لم يكمله لأنه صار مزارعا في منطقة الشوكة يساعد جدي في الأرض وأبي سعيد لأنه اهتم بالزراعة بالأرض وكسب حب جدي.

وفي يوم قررت المدرسة أن تلعب مع فريق المدرسة المجاورة مباراة كرة قدم في احتفال وطني (يوم الأرض) بالقرب من السياج الفاصل.

فذهب لمدرس الألعاب وطلبت منه أن أشارك مع فريق المدرسة لكرة القدم، فوافق المدرس على أن أحضر شورت رياضي وحذاء رياضي.

لكن أنا لا أملك ما طلب مني، فجاءت برأسي فكرة أن أصنع شورت رياضي، فذهب إلى الخزانة وأحضر بنطال قديم وقمت بقصه وأمي ساعدتني بالحياسة وصار عندي شورت جميل ورائع، لكن الحذاء كان مشكلة.

وفي فجأة جاء أبي يحمل حذاء بيده، وأخبرني هذا حذائي الرياضي كنت أعب به وأنا في عمرك، أخذت الحذاء بعد أن شكرت أبي ولمعته ولبست الشورت والحذاء، وذهبت إلى المباراة.

مدرس الرياضة أعجب بشكلي الأنيق وسألني عن حذائي القوي وأنه صناعة جيدة، وبدأت المباراة، وكنت أجلس بالاحتياطي.

فأحد الأصدقاء أصيب بقدمه إصابة قوية ولم يقدر على اللعب، فأشار لي مدرس الألعاب أن أنزل الملعب.

في بداية الأمر كنت خائفاً. لكن وصلت لي الكرة وتحكمت بها وركلتها لصديقي، ثم أعادها لي فضربتها بقوة ناحية حارس المرمى، فلم يقدر عليها ودخلت الشباك، ففرحت أنني أحرزت هدفاً والجميع صفق لي.

انتهت المباراة وحصلنا على هدايا وبالصدفة كان يحضر المباراة مسئول فريق شباب رفح الرياض، فعرض عليّ أن ألعّب في النادي، ولم أتردد وقلت له: موافق.

وذهبت للبيت وأخبرت أبي بما حصل في يوم المباراة، ففرح وقفز من الفرح لأنني سوف ألعّب بنادي شباب رفح.

الكلب خلفي

توقف الشتاء في لحظة بعد ليلة ماطرة جداً كادت تغرق البيوت الشوارع، وكان وقت الذهاب إلى المدرسة حان.

نهضت من فراشي وجهزت نفسي ولبست ملابس الشتوية، واتجهت لمنزل صديقتي التي ترافقي إلى المدرسة.

كانت تنتظري أمام بيتها وبدأ البرد ظاهر على وجهي وأصابها حين سلمت عليها، ومشيا والبرد يلسع وجوهنا، وقبل أن نصل المدرسة بعشرات الأمتار بدأت الشوارع خالية من الطلاب، وقتها شعرنا بأن كلب أسود يركض خلفنا.

ارتعبنا وصرنا نركض لنصل إلى بوابة المدرسة، لنحتمي من الكلب بباب المدرسة، رغم برودة الجو وانكماش أعضائنا إلا أننا ركضنا بسرعة وبدون وعي.

لكن الكلب كان أسرع منا وكاد أن يصل لنا ليعضنا، لمحنا باب المدرسة من بعيد لكنه كان مغلق، ولا يوجد أحد من الطلاب أمامه ولا أحد من البائعة المتجولين.

زاد خوفنا بل صديقي كادت تفقد صوتها من كثرة ما صرخة، لكن فجأة ظهر بواب المدرسة الرجل الطيب أبو حسن أمامنا فسقطنا أمامه.

فاحتميناه به وقال لنا: لماذا تركضا وتلهتا وتصرخا، قلنا له بصوت قلق: يوجد كلب خلفنا.

وقبل أن نكمل حديثنا ظهر الكلب ويحمل بفمه دفتر واقتراب من السيد أبو حسن ووضع الدفتر أمامه وذهب، في هذا الوقت أغمي على صديقتي من الخوف حين اقترب الكلب.

ضحك أبو حسن بصوت عالي: قال إن الدفتر وقع منك والكلب أراد أن يعطيك أياه، أنه كلب وفي.

لكن سألت لماذا جئتن إلى المدرسة فقد أعلن عن إجازة لسبب سوء الأحوال الجوية، اذهبن بسرعة إلى البيت قبل أن يعود المطر.. ركضنا بسرعة أيضا خوفا من المطر، لكن خوفنا من الكلب والمطر جعل أجسادنا ساخنة ولا نشعر بالبرد.

شجرة الرمان

جدتي وجدي قد اتفقا قبل عشرة سنوات أن تزرع شجرة الرمان في مقدمة الحديقة، كنا وقتها صغار ولا نعلم لماذا اختارا هذا المكان.

كل يوم يدخل بيت جدتي وجدي حوالي ستين حفيد، وهؤلاء جاءوا من خمسة أولاد وخمس بنات، وكل واحد أنجب ستة أولاد.

خلال عشرة سنوات كان البيت يعج بالصغار والكبار والأنساب، لا يمر يوم إلا وتكون عندنا مناسبة والكثير من أعياد الميلاد.

لكن حين يصاب أحد بأنفلونزا الكل يهرب ولا يرجعون إلا بعد أسبوع، امام جدي وجدتي لا يصابون بالبرد والإنفلونزا.

والسر كان من شجرة الرمان، جدتي كان تعصر الثمار وتشربه وهي وجدتي، وكانت توصي كل واحد منا أن نشرب معهم العصير.

وكانا ينشفا قشر الرمان ويقوما بخرقة على نار هادئ فيصدر عطرا رائحة زكية.

شجرة الرمان كبرت كثيرا، وصارت كل مرة تحمل أكثر من مئة وعشرين حبة رمان، يبدو أن هذه الشجرة عادلة مثل جدتي حين توزع أي شيء على أحفادها.

زرعها في مقدمة الحديقة، لجمالها وقت الحمل، كأنها كوكب لونه أخضر يلفه مئة وعشرين قمر أحمر.

لكن في فجأة سافر جدي وجدتي في العلاج وطال سفرهما، لأن أقاربنا هناك أجبروهما على الجلوس عندهم لمدة ثلاث شهور.

وفي هذا الوقت خلى البيت من الأحفاد والصراخ وحفلات الميلاد والرقص دون مناسبات.

لكن الشيء الغريب في ليلة كأن شجرة الرمان كانت نائمة واستيقظت وصارت كل ثمارها ناضجة وكبيرة.

ومع الصباح وقفت سيارة أمام البيت كان تقل جدتي وجدي وحين دخلا الباب، كأن شجرة الرمان ترقص، وثمارها كادت تضيء.

دفتر الذكريات

قد تعلمت من أمي أن يكون لي دفتر ذكريات ادون فيه كل شيء يمر معي في اليوم، أحداث لا يمكن أن تكرر.

كنت في بداية الأمر أدون كل صغيره وكبيرة لأنني لم أتوقع أن الأشياء سوف تكرر حين أكبر.

دون عن أول قميص اشتريته في العيد، ودونت أول هدف وضعته في فريق الحارة المجاورة لشارتنا.

دونت وقت هروب بقرة جارنا في عيد الأضحى وهرب الناس منها، وكنت أرسم أشكالاً ووجوه المدرسين وبعض الباعة المتجولين.

واكتب فيه شعرا وقصص في يوم عيد الأم، وحين مرضت أصابني الحمي كتبت عن الوجع الذي ألم بي.

وفي يوم أهدني أبي حصاله لها قفل بأرقام، لأنني كنت مبذرا وأراد أن أحافظ على النقود التي أحصل عليها.

وضعت الرقم السري لحصالة وحتى لا أنساه كتبتة في دفتر الذكريات، وبكل صراحة اهتممت بالحصالة أكثر من الدفتر.

وبعد عدة أشهر امتلأت الحصالة بالنقود ولا يوجد مكان فارغ بها، وجاء وقت فتحها، حاولت أن أضع الرقم السري لتفتح لكنني نسيتة.

أخي أشار أن نكسرها، أبي أحضر مفكا ليكسر القفل، أمي وحدها قالت: أنت وضعت الرقم السري في دفتر الذكريات.

ركضت أبحث أين وضعت الدفتر، لكن لم أجده، كانت لحظات صعبة، فقدت دفتري والحصالة سوف تتكسر لو لم أتذكر الرقم السري.

بعد ساعات من القلق جاءت أختي الصغيرة وتحمل بيدها الدفتر قفزت ناحيتها، وأخذته من يدها، فلم أجد صفحة وألا عليها خرابيش وأولان ورسومات، أخبرتني أختي أنه وجدته على الرف متروك ولم تكتبه به منذ فترة، وصرت أكتب به وألوان.

صرت أبحث عن الرقم السري للحصالة ووجدته، وفتحت الحصالة، واشتريت دفترا جديد وأحتفظ بالدفتر القديم بين ملابسني في الخزانة.

الخوف الكبير

مؤخرا صار كل ليلة يجتاحني كابوسا، وأقوم فزع من نومي، واصرخ بصوت عالي، تركض أُمي إلى سريري وتحضني.

وبعد الكابوس أُمي تحاول أن تهديني منه، وتقرأ من سور قصيرة، وتعطيني ماء، ثم أعود إلى النوم.

يبقى أثار الكابوس حتى الصباح، أصبحت متعبة جدا منه، وكنت أخاف أن أنام في الفراش، فكنت أشعر أن أحد يتحرك في الغرفة يقفز من أرض الغرفة إلى سطح الغرفة.

حاولت أُمي أن تنام بالقرب مني، لكن لم يتركز وصرت قلقة جدا والبيت كله حتى أبي صار قلق جدا مما يحدث معي.

أخي حسن انتبه للموضوع الكابوس، وقرر أن يظل صاحي طوال الليل يراقبني في الليل، وفجأة ضحك بصوت عالي وكادت دموعه تسقط من الضحك.

قامت أسرتي من النوم على صوت الضحك متسائلة عن سبب الضحك، قال أخي: راقبت أختي وهي نائمة، لا يوجد كابوس أنها الستارة مع الهواء تتحرك بشكل مخيف وتلامس وجه أخي فتظن أن أحد موجود بالغرفة فتخاف وتصرخ تظن أنه كابوس.

فضحك الجميع على قصة الكابوس، وقررت وقتها أن أغير مكان نومي بعيد عن الستارة، وأبي ربط أطرافها جيدا حتى لا تتحرك مع الهواء.

سري يطير

صديقتي نرجس من أكثر الصديقات قريبة مني، كل شيء نتقاسمه معا، كانا جسد واحد، نجلس معا على المقعد الدراسي.

ونكتب الدروس معا، وفي الذهاب والمراوح نكون معا، بيتها في أول الشارع وبيتي في آخر الشارع.

في الطريق نحكي قصص ونحلم معا ونضحك، ونلعب بالحصى ونطارد الفراشات، أنا خطى جميل كثيرا، فكنت دائما أكتب لها عناوين الدروس، وهي شاطرة في الرسم فكانت ترسم لوحتين واحدة لها وواحدة لي في حصة الرسم.

كنا متعاونات في كل شيء، إلا أن حدث شيء كبير بالنسبة لي، قد أخبرتها سرا حدث معي وأنا صغيرة.

وأخبرتها بأنه سر لا تخبريه لأحد، لأنه يسبب لي حرج كبير. وهزت برأسها بالموافقة بعد استغرابها عن السر.

وفي يوم ذهبت لبيتها لترافقني للمدرسة كالمعتاد، لكنها سبقني للمدرسة، ولحقت بها.

وحين دخلت المدرسة بحث عنها فلم أجدها، لكن لاحظت بعض زميلاتني في المدرسة ينظرن إلى بشكل غريب ويضحك بصوت منخفض.

تكرر هذا المشهد كثير طوال اليوم، شعرت وقتها بأن سري صار معروفا للجميع، فغضبت كثيرا، وقررت بأن أقطع علاقتي بنرجس.

وصرت أذهب إلى المدرسة وحدي، وهي جلست بعيدا عني في الصف،
مرت الأيام بصعوبة علي، لأنني لم أقدر على مسامحتها.

لكن في يوم كان لطيف وكنت مشتاق لها كثيرا، دخلت المدرسة ووجدتها
تحمل لوحة بها ورد أحمر مرسوم ومكتوب عليه أنا أعتذر عما صدر مني.

تقبلت الأمر وسامحتها، وقالت لن أبوح بسر لك مرة أخرى، وعدنا أفضل
مما سبق.